وتتصف بالطفيلية والتذبذب والهروب من الدائرة الوطنية ، فالبرجوازية الفلسطينية نمت بفعل ظروف الحرب العالمية الثانية ، وأجبرت الاستعمار على الاعتماد على البضائع المحلية لسد الاحتياجات ، ولكن القنوط عاد فاصاب هذه الطبقة عقب انتكاسة الثورة، وهدوء المناخ العالمي، ونستطيع مع المؤلف ان نفهم ونفسر هروب قطاعات واسعة من البرجوازية العربية الفلسطينية تجاه الاستعمار ص ١٨٩ ، ولكن المؤلف يناقض نفسه حين يشير الى نمو القوى الثورية العالمية ، وخضوع البرجوازية الوطنية ، كما يصفها ، ونكرر ان المؤلف واقع تحت تأثير نظرية جاهزة ، فرغم كل الخصوصيات ، التي لم يتجاهلها حتى ماركس ، لنمط الانتاج الاسيوي يبرر المؤلف الاسباب والبواعث التي قادت الى ثورة ١٩٤٨ بانها قنوط لا غير ، والواقع ان اتساع اعمال المعسكرات الحربية البريطانية التي وطدت تواجدها في فلسطين ، كانت اجور العمال العرب جد متدنية ص ١٩٥ ،ومع ذلك ارتفعت انتاجية العامل العربي الى مستوى انتاجية العامل اليهودي ، زد على ذلك ، أن ظروف حياة العمال العرب كانت غاية في القسوة ،ويستهلك ايجار البيت ٤٠ ٪ من اجرة العامل الفلسطيني ص ١٩٧ ، ومن ناحية اخرى كانت الضرائب المتصعدة ، تحول دون افادة الفلاح من التغيير العالمي ، الذي دفع بالاستعمار لاعتماد الانتاج المحلي ص ١٩٩ ، كما حملت مصروفات الدولة نفس الطابع المتعسف ، حيث احتل البوليس والسجون ، في هذه المصروفات ، المرتبة الاولى ص ١٩٩ ، في حين ان حصة الصحة ٣٦ ٪ من كل المصروفات ، والتعليم ٥ ٪ فقط ص ١٩٩ ، ولكن رغم تسطير المؤلف لهذه الحقائق الا انه لا يستنطقها بما فيه الكفاية ، فالثورة لم تكن ثورة وطنية فحسب ، بل ثورة فيها الكثير من المشاكل والقضايا الطبقية ، وفي ايلول ١٩٤٣ اسس الشيوعيون العرب بينهم حزبهم الجديد « عصبة التحرر الوطني » بعد انشقاقهم عن الحزب الشيوعي الفلسطيني ، واصدروا صحيفة اسبوعية باسم الاتحاد ، ترأس تحريرها اميل توما ، وكافحت العصبة ضد الهجرة ونادت بانشاء حكومة ديمقراطية مستقلة ص ٢٠٢ ، وفي نيسان ١٩٤٤ ، اعاد الحزب العربي تشكيل فروعه ، ولكن اخذ بعض قادة الحركة الوطنية بالتساقط ، وحينما اتى عام ١٩٤٦ اصدرت اللجنة الانجلو اميركية المتواطئة ، تقريرها الذي اوصت فيه بادخال مئة الف يهودي الى فلسطين بهدف خلق توازن بشري ص ٢١١ ، واما تفاقم الازمة احال الاستعمار البريطاني قضية فلسطين الى الامم المتحدة ، وفي ايلول ١٩٤٧ ،اصدرت اللجنة المرسلة من الامم المتحدة قرار التقسيم ص ٢١٣ ، وحينما اقرت الجمعية العمومية مشروع التقسيم ، دخل جيش الانقاذ بقيادة القاوقجي وكان العرب يتسلحون ببنادق قديمة ، وفي عام ١٩٤٨ ، اي ١٥ أيار ، ساهم الجيش الاردني والمصري بنزع الاسلحة من ايدي المناضلين ص ٢١٤ .

هذا الفصل تتداخل قضاياه ومن الصعب تلخيصه تلخيصا دقيقا ، وراجع هذا التداخل الى عدم الوضوح الفكري في ذهن الباحث ، وفقدانه لادوات منهجية دقيقة ، بحيث يضيع فرصة استنطاق الوقائع والارقام استنطاقا دقيقا وحاسما ، وعلى أية حال نجمل نقدنا بما يلي :

اولا ـ ان الكتاب ، بحد ذاته ، بادرة جيدة من نوعها ، ولكنها مسطحة من حيث الترتيب الفكري والمنهجي ، ولقد عانينا في قراءته ، ليس بسبب الغموض ولكن بسبب التشابك في العرض ،وربما يعود هذا التسطيح والتهوش الى نوعية الدراسة ، وهي دراسة علمية لقضايا تاريخية ، وهذه الدراسة لم تزل في عالمنا العربي غير دقيقة وانفعاليه ، .

ثانيا ـ يخلط المؤلف بين مفهوم البرجوازية الاوروبية ومهامها التي حققتها ، وبين البرجوازية الشرقية التي تعتمد على الاستيراد والتحالف مع الاحتكارات وتفتقد من ثم مهامها الوطنية .

ثالثا ـ اعتمد المؤلف كثيرا ، والى حد التخمة ، على افكار ماركسية جاهزة متقولبة في ظروف وازمنة معينة ، ومن المفيد ان نستعمل المنهج الماركسي لا الايديولوجية الماركسية .

هذه بعض ارائنا النقدية وعسانا ان نكون قد شخصنا نقاط الضعف للافادة منها في بناء دراسات اخرى في المستقبل .

هاني الزعبي